

الجامعة المستنصرية / كلية الآداب

قسم اللغة العربية

د. صباح كاظم بحر العامري

مادة : علوم القرآن

المحاضرة رقم 10

المحكم والمتشابه في القرآن الكريم

من المباحث الاساسية في علوم القرآن هو مبحث المحكم والمتشابه ، وهما مصطلحان قرآنيان، استعملهما القرآن الكريم وعرف ان آياته فيها المحكم والمتشابه.

فالمحكم في اللغة من (احكمت الشيء فاستحكمت صار محكماً واحتكم الامر واستحكمت وثق. ونقل عن الازهري - ان حكمت تأتي بمعنى احكمت)1

والمتشابه في اللغة من الشَّبَهُ والشَّبَبُ والشَّبِيهُ المِثْلُ والجمْعُ اشباه. واشبه الشيء الشيء : ماثله وأشبهت فلاناً وشابهته وأشنبه عليّ وتشابه الشيطان واشتبها : أشبه كلُّ واحدٍ منها صاحبه والمُشْتَبِهَاتُ من الأمور : المشكلاتُ، والمتشابهاتُ : المتماثلاتُ والتشبيه : التمثيل. والشُّبُهَة : الالتباس وأمر مُشْتَبِهَةٌ ومُشَبَّهَةٌ ومُشَبَّهَةٌ : مشكلة يُشَبِّهُ بعضها بعضاً. وشَبَّهَ عليه : خَلَطَ عليه الأمرَ حتَّى اِشْتَبَهَ بغيره2.

المحكم والمتشابه اصطلاحاً :

منه حديث ابن عباس: قرأت المحكم على عهد رسول الله، يريد المفصل من القرآن، لانه لم ينسخ منه شيء، وقيل: ما لم يكن متشابهاً، لانه احكم بيانه بنفسه، ولم يفتقر الى غيره . «

والمراد منه أن القرآن الكريم فيه المحكم والمتشابه ، والمحكم هو البين الواضح الذي لا يلتبس أمره ، وهذا هو الغالب في القرآن ، فهو أم الكتاب وأصل الكتاب ، وأما المتشابه

1 لسان العرب مادة حكم

2 لسان العرب مادة شبه

، فهو الذي يشتبه أمره على بعض الناس دون بعض ، فيعلمه العلماء ولا يعلمه الجهال ، ومنه ما لا يعلمه إلا الله تعالى .

قال الشيخ الطوسي: المحكم ما أنبأ لفظه عن معناه من غير اعتبار أمر ينضم إليه سواء كان اللفظ لغوياً أو عرفياً، ولا يحتاج إلى ضروب من التأويل.

وذلك نحو قوله (لا يُكْفِ اللهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعُهَا)(1) ، وقوله: (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ)(2) وقوله: (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ)(3) وقوله: (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) (4) ونظائر ذلك .

والمتشابه: ما كان المراد به لا يعرف بظاهره بل يحتاج إلى دليل، وذلك ما كان محتملاً لأمر كثيرة أو أمرين، ولا يجوز أن يكون الجميع مراداً فأنه من باب التشابه. وإنما سمّي متشابهاً لاشتباه المراد منه بما ليس بمراد، وذلك نحو قوله: (يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله)(5) ، وقوله: (وَالسَّمَاوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ)(6)، وقوله: (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا)(7)، ونظائر ذلك من الآي التي المراد منها غير ظاهرها.(8)

فالمراد بالمتشابه هو الكلام المجمل أو المبهم الذي يشتبه المراد منه على العرف بحيث لا يكون له بالوضع أو بالقرائن المتصلة حقيقة أو حكماً ظهور في المعنى المراد، بل لابد في الاستفادة منه من الرجوع إلى العالم الخبير بمراد المتكلم، أو الاجتهاد في تحصيل القرائن المنفصلة عن الكلام من حيث العقل المستقل أو سائر كلمات المتكلمين، ولعله إلى ما ذكرنا يرجع ما عن العياشي - رحمه الله - عن الصادق - عليه السلام - أنه سأل عن المحكم والمتشابه، فقال: «المحكم ما يعمل به، والمتشابه ما اشتبه على جاهله». (1)

وقال العلامة الطباطبائي: المراد بالتشابه كون الآية لا يتعين مرادها لفهم السامع بمجرد اسماعها، بل يتردد بين معنى ومعنى حتى يرجع إلى محكمات الكتاب فتعين هي معناها وتبينها بياناً؛ فتصير الآية المتشابهة عند ذلك محكمة بواسطة الآية المحكمة، والآية المحكمة، محكمة بنفسها.

المحكم والمتشابه في نص القرآن الكريم

قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ) آل عمران/71

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (6/2) : " يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب، أي: بينات واضحات الدلالة، لا التباس فيها على أحد من الناس، ومنه

آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن ردّ ما اشتبه عليه إلى الواضح منه، وحكم محكمه على متشابهه عنده، فقد اهتدى. ومن عكس انعكس ؛ ولهذا قال تعالى: { هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ } أي: أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه { وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ } أي: تحتل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتل شيئاً آخر من حيث اللفظ والتركيب ، لا من حيث المراد ...

{ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ } أي: ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل { فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ } أي: إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة ، وينزلوه عليها ، لاحتمال لفظه لما يصرفونه ، فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه ؛ لأنه دامغ لهم وحجة عليهم ، ولهذا قال: { ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ } أي: الإضلال لأتباعهم ، إيهاماً لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن ، وهذا حجة عليهم لا لهم ، كما لو احتج النصارى بأن القرآن قد نطق بأن عيسى هو روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم ، وتركوا الاحتجاج بقوله تعالى: { إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ } [الزخرف : 59] ويقوله: { إِنْ مَثَلٌ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } [آل عمران : 59] وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرحة بأنه خلق من مخلوقات الله ، وعبد ، ورسول من رسل الله .

وقوله: { وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ } أي: تحريفه على ما يريدون " انتهى .

اثر المحكم والمتشابه في تحليل النص وفهم المعنى

قال تعالى (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) وظاهر الآية يشتهبه على المراد منه من السامع أوّل ما يسمعه، فإذا رجع إلى مثل قوله تعالى : (ليس كمثل شيء) ، استقرّ الذهن على أنّ المراد به التسلّط على الملك والإحاطة على الخلق دون التمكن والاعتماد على المكان المستلزم للتجسم المستحيل على الله سبحانه.3 فحين نأتي الى قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) نجد للفظ الاستواء مفهوماً لغوياً معيناً اختص به وهو الاستقامة والاعتدال مثلاً، وليس هناك أي تشابه بينه وبين معنى آخر في علاقته باللفظ فهو كلام قرآني قابل للاتباع ولكنه متشابه لما يوجد فيه من الاختلاط والتردد في تحديد صورة هذا الاستواء من ناحية واقعية وتجسيد مصداقه الخارجي بالشكل الذي يتناسب مع الرحمن الخالق الذي ليس كمثل شيء.

وحين نفهم المتشابه بهذا اللون الخاص لا بد لنا ان نفهم المحكم على اساس هذا اللون الخاص ايضاً. وهذا شيء تفرضه طبيعة جعل المحكم في الآية مقابلاً للمتشابه فليس

³ نفحات الرحمن:1/19.

المحكم ما يكون في دلالاته اللغوية متعين المعنى والمفهوم فحسب بل لا بد فيه من التعيين في تجسيد صورته الواقعية وتحديد مصداقه الخارجي ففي قوله تعالى (ليس كمثله شيء) نجد الصورة الواقعية لهذا المفهوم متعينة فهو ليس كالإنسان ولا كالسماء ولا كالارض ولا كالجبال.

فالمحكم من الآيات ما يدل على مفهوم معين لا نجد صعوبة او ترددأ في تجسيد صورته او تشخيصه في مصداق معين. والمتشابه ما يدل على مفهوم معين تختلط علينا صورته الواقعية ومصداقه الخارجي.4، ومن هنا ذهب بعض المفسرين الى القول بان الاستواء المقصود هو اعتلاء العرش أي ان الله قد استقر على عرشه ، وهي علاقة حسية مجسمة للذات العلية ، وكأن الله تعالى جسما قد استقر بمكان معين .

في حين ان النص السابق الذي يبين ان الله ليس كمثله شيء ينفي هذا المعنى بتمامه ، فالتفسير الموضوعي لهذا النص المتشابه يلزم ان يكون المتشابه راجعا الى المحكم ليتبين بالقرائن ان المعنى المراد يقتضي ان لا يتناقض مع المعنى المتحصل في الآيات المحكمات لانهن كما قال تعالى ام الكتاب .

والامر ذاته ينطبق على قوله تعالى : (إلى ربها ناظرة) فإذا أرجع إلى مثل قوله: (لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) ، علم به أن المراد بالنظر غير النظر بالبصر الحسي ، فقد : " قسم تعالى اهل الاخرة فقال (وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة) أي مشرقة مضيئة، فالنضرة الصورة الحسنة التي تملأ القلب سرورا عند الرؤية نضر وجهه ينضر نضرة ونضارة فهو ناضر. والنضرة مثل البهجة والطلاقة، وضده العبوس والبسور، فوجوه المؤمنين المستحقين للثواب بهذه الصفة بما جعل الله عليها من النور علامة للخلق، والملائكة على انهم مؤمنون مستحقون الثواب.

وقوله (إلى ربها ناظرة) معناه منتظرة نعمة ربها وثوابه ان يصل اليهم"5

و المعنى: نظرا إلى ما يقابله من قوله: "و وجوه يومئذ باسرة" إلخ وجوه يوم إذ تقوم القيامة حسنة متهللة ظاهرة المسرة و البشاشة قال تعالى: "تعرف في وجوههم نضرة النعيم": المطففين: 24، و قال: "و لقاها نضرة و سرورا": الدهر: 11

ومذهب أهل السنة: إثبات رؤية الله عز وجل عيانا جاء به القرآن والسنة، قال الله تعالى: "وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة"،(القيامة، 23)، وقال: "كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون"6

4 علوم القرآن ، السيد محمد باقر الحكيم .

5 التبيان في تفسير القرآن 189/10

6 معالم التنزيل 173/3

فقد جاء في تفسير النظر: " أنه من نظر بمعنى : عاين ببصره إعلاناً بتشريف تلك الوجوه أنها تنظر إلى جانب الله تعالى نظراً خاصاً لا يشاركها فيه من يكون دون رتبهم ، فهذا معنى الآية بإجماله ثابت بظاهر القرآن وقد أيدتها الأخبار الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم

فقد روى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة «أن أناساً قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال : هل تُضَارُونَ في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً؟ قلنا : لا ، قال : فإنكم لا تُضَارُونَ في رؤية ربكم يومئذٍ إلا كما تضارون في رؤيتهما» 7.

إلى ربها ناظرة هذا من النظر بالعين وهو نص في نظر المؤمنين إلى الله تعالى في الآخرة وهو مذهب أهل السنة وأنكره المعتزلة وتأولوا ناظرة بأن معناها منتظرة 8 ، وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله : { وجوه يومئذٍ ناظرة إلى ربها ناظرة } قال : تنظر إلى وجه ربها .9

7 التحرير والتنوير

8 التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي 258/3

9 الدر المنثور في التاويل بالمأثور 149/10